والبرامكة الرشيد

رواية تاريخية نثرية ذات خمسة فصول يتخللها شعر قديم

يقلم الاب انطون رباط اليسوعي (تابع)

الفصل الخامس

البكاء والندم

خرائب دور البرامكة . على جنب كومة من الحجارة

المشهد الاوّل

سكوت وظلمة . يمرّ بعض الاشخصين كالمامون وغيره ينظرون الى الخرائب ثم جون من المرتلين يلبسون الحداد وينشدون الرثاء على لحن « الموالي » (١ و ينوحون على البرامكة

يا دارُ اين ملوك الارض اين القُرسْ اين الذين حموها بالقنا والتُرسْ
قالت تراهم رِمَمْ تحتَ الاراضي الدُرسْ وغراب البين اتى ووقوف حواليا (٢

(سكوت)

ياسر . ومسرور

ياسر ولمَ اتيتَ بي الى خرائب البرامكة في هذا الليل المدلهمّ ؟

مسرور إن الفضل بن الربيع لا يزال منذ تقلّد الوزارة (٣ حريصاً على قتل اصحاب البرامكة

ياسر تبًّا لهُ من حسود ماكر لا يطيب لهُ عيش الّا اذا سفك الدماء ويتّم الاطفال وخرّب البلاد

---

١) قيل إن اول من انشد هذا الغناء بعض اتباع البرامكة بعد نكبتهم فكانوا ينوحون عليهم ويكثرون من قولهم « يا موالي » وبالجمع « يا مواليا » فصار يعرف بهذا الاسم

٢) « الموالي » لاحدى جواري البرامكة ترثيهم

٣) استوزره الرشيد بعد الايقاع بالبرامكة

مسرور فقد أُعلِم أن قوماً يأتون ليلًا الى هذه الاطلال الشاخصة من دور البرامكة يُنشدون شعرًا ويَنوحون على مواليهم واسيادهم فعظم عليه الخطب واعلم به الرشيد فأمرني ان اتي واياك فنستتر بين الجدرلن فاذا جاءوا قبضنا عليهم (١

ياسر ألم يكتفِ الرشيد بما صنع باغراء وزيره هذا اللئيم. لقد قبض على البرامكة واستباح اموالهم وقتل منهم ومن حاشيتهم ومواليهم نحوًا من الف نفس ومثّل فيهم وشنّع ومَن بقي سالمًا لا يقدر على كسرة خبز (٢

مسرور او هل بقي احد منهم ؟ لقد افناهم عن آخرهم

ياسر بقي عبادة امّ جعفر ظنّ الرشيد نزاها في ثياب رثة تطوف الازقّة تسأل شيئاً تقتات به. وقد سمعتُها في يوم اضحى تطلب من المارّين جلد شاة تجعلهُ لها دثارًا وقد كنتُ رأيتها في مثل هذا اليوم وفي خدمتها اربعانة وصيفة في الخزّ والديباج. هذا مما يفتّت الاكباد و يصدع الحلاميد (٣. وقد بقي خلا عبادة ابن لجعفر

مسرور ابن لجعفر ؟ ألم تذبح ولديه سويّة مع العبّاسة بينما كنتُ افكُّ جعفرًا من قيد الحمار الذي قيدته به واجرّه خارجًا لأحزّ راسه (٤

ياسر دعني دعني فقد أثرت فيَّ خيالات طالما جهدت ان امحيها من فكري فلا تزال تتراءى لي كأني صنعتُ الساعة ما صنعت. هنا هنا تمّ الامر

مسرور وكيف كان ذلك ؟

ياسر لما اخذت الحسن والحسين تقدّم اليَّ جعفر . . .

مسرور ابن العلوي الذي تبنّاهُ البرامكة ؟

ياسر هو. فسألني أن ادع احدهما ينجو واقتلهُ عوضًا عنهُ واعطاني هذا الخاتم جزاء فرضيتُ

---

١) هذه القصّة نقلها المؤرخون جميعهم

٢) الاتليدي (١٧٤) والمسعودي (٦ : ٤٠٨)

٣) المسعودي (٦ : ٤٠٦) والاربلي (١١٠) والاتليدي (١٨٠)

٤) الطبري (٦٧٨) والاربلي (١٠٦)

مسرور وبعد ؟

ياسر فذبحتهُ مع الحسين . ثم احضر الرشيد عشرة من الفعلة اجلادًا ودعا العباسة اخته فجزّ رأس ابنها في حضنها وهي تنوح وتعول واستلّ خنجرًا فطعنها . ثم جلس على كرسي وامرنا فوضعناها بجلالها وثيابها في صندوق وحفرنا هنا حفرةً فدفنّا الام والولدين ورددنا التراب (١

مسرور يا لها من قساوة يربريّة !

ياسر وزبيدة تنظر من خلال المقصورة فرحةً لما كان بينها وبين جعفر من العداوة (٢

مسرور وكيف لم يُنشر الخبر بواسطة الفعلة ؟

ياسر لان الرشيد امر بهم فخُيّطوا في جواليق وثقلوا بالصخر والحصى وزُجوا في وسط دجلة (٣

مسرور يا لله من هذا الامر الفظيع ! كيف وصلتَ يا ناقص القدر الى هذه الدناءة !

ياسر لا يحسن بك السب يا قاتل جعفر وانت سبب تكدير عيشي . انت بمكرك سهّلتَ عليَّ ركوب الكبائر . انت علّمتني الغدر . انت يا عبد السوء اغريتني على الانقياد للفضل ذلك الخائن المكّار فكفرتُ بنعم قوم اشراف واختلقت عليهم الاكاذيب فنجح مسعاك ومسعى شيطانك ابن الربيع وتركتني ذليلًا حقيرًا ينخزني الضمير بمهازه ويشدّ عليَّ بمخسه وزوازه

مسرور اكفف عن الشطط لسانك والّا تتلتك

ياسر فلتبكِ على عتاك البواكي يا عبد ونصف رُجيل اراك ستلقى هوانًا . ويحك ان قدّمت رجلًا او تجرّأت على كلمة سوء قبضتُ عليك واتيت بك مقيّدًا امام الرشيد فاعلمته بما عوّلت وابن الربيع عليهِ من اذلال الدولة العباسيّة وتسهيل الامر في الاندلس لبني امية . اتريد ؟

ياسر صهْ . وقعُ اقدام

مسرور امير المؤمنين ! وما اتى بهِ الآن الى هذا المكان ؟

---

١) الانليدي (١٠٧) اطلب ايضًا المؤرخين في وصف مقتل علية اخت الرشيد

٢) المسعودي (٦ : ٣٢٧) ٣) الانليدي (١٠٧)

المشهد الثاني

الرشيد . الفضل . الاصمعي . اسحق . ياسر . مسرور

الرشيد لم يأتِ احدٌ بعد ؟

مسرور لا يا سيّدي

الرشيد اذهبا (يتنحّى مسرور وياسر الى آخر المسرح)

الفضل ما هذا الارق الدائم . فانك لا تنام الليل (١

الرشيد لا ازال ضجراً حزيناً مغموماً

اسحق كيف يكون على قلبك ضجر او غمّ وقد خلق الله اشياء كثيرة تزيلها وانت قادر عليها

الفضل هلمّ بنا من هذه الاماكن المخيفة نطلع فوق سطح قصرك ننظر الى النجوم واشتباكها وتلألئها وعلى القمر وحسن طلعته فقد آن وقت ظهوره

الرشيد لا تلتفت نفسي الى شيءٍ من ذلك

اسحق سرْ بنا الى الحديقة نتفرّج بين الاشجار ونتنسّم روائح الازهار ونسمع تغريد الاطيار

الرشيد لا يلذّني شيءٌ من هذا

اسحق اركب سفينتك على دجلة فترى المراكب المتسلسلة على المياه وتسمع حدو الملّاحين او فانزل الى الاصطبل فانظر الى الخيل العربيات وحسن الوانها ما بين ادهم كالليل اذا اظلم واشهب وكميت . . .

الرشيد ما تهمّ نفسي الى شيءٍ من هذا . دعني انظر الى آثار منازل البرامكة عسى الله يفرّج عني حزني . ما هذه الابيات ؟

اسحق كُتبت بفحمة على الجدار المنهدم (٢

الرشيد (يقرأ) :

يا منزلًا لعب الزمان باهلهِ فأبادهم بتفرّقٍ لا يُجمعُ

---

١) تجد في كثير من المؤرخين والرواة وصف ارق الرشيد

٢) الاتليدي (١٨٠)

إنَّ الذين عهدتهم في ما مضى كان الزمانُ بهم يضرُّ وينفعُ
اصبحتَ تفزعُ من رآك وطالما كنا اليك من المخاوفِ نفزعُ
ذهب الذين يعاشُ في اكنافهم وبقي الذين حياتهم لا تنفعُ

الفضل أيقدم الناس على مدح البرامكة؟ لأصفعنَّ بمن كتبها وافعلنَّ

الرشيد دع عنك. صدق والله قائلها. مات يحيى وجعفر ومات الجود والكرم. لو كانا في الحياة لفرَّجت فيهما

الفضل ألا تزال تذكر اعداءك وتردّد هذه الافكار السيئة

الرشيد صهْ لا امَّ لك. احفظ يا اصمعي شعر الزبير بن دحمان؟

الاصمعي نعم

الرشيد أعدْهُ عليَّ (يجلس على حجر)

الاصمعي من للخصوم اذا جدّ الخصام بهم يومَ النزال ومن للضُّمَّر القودِ
وموقفٍ قد كفيتُ الناطقين به في مجمع من نواصي الناس مشهودِ
فرَّجتهُ بلسانٍ غير ملتبسٍ عند الحفاظ وقول غير مردودِ

الرشيد ويحك. كأن الشاعر يصف يحيى وجعفرًا (١

اسحق ما رأيتُ لك سرورًا منذ قتلتَ البرامكة. فلأي شيءٍ قتلتهم؟

الرشيد لو علمتُ ان قميصي يعرف السبب الذي قتلتهم به لاحرقتهُ (٢

الفضل قومٌ كفرةٌ انزلتَ عليهم عقوبتك

الرشيد أقالوا عليهم لا ابا لابيكم من الارم او سدُّوا المكان الذي سدُّوا
حملونا على نصحائنا وكفاتنا وأوهمونا أنهم يقومون مقامهم فلمَّا صرنا الى ما ارادوا لم يغنوا عنهم (٣

---

١) اخبر صاحب الاغاني (١٧ : ٧٤) قال: كان الرشيد بعد قتله البرامكة شديد الاسف عليهم والتندّم على ما فعلهُ بهم فقطن لذلك الزُبير بن دحمان وكان يغنّيه فغنّاه يوماً: «من للخصوم» فقال لهُ الرشيد: اعد فاعاد. فقال لهُ: ويحك كأن قائل هذا الشعر يصف بهِ يحيى بن خالد وجعفر ابن يحيى. وبكى ووصل الزبير صلة سنية

٢) ابن بدرون (٢٢٥ و٢٢٦) والاربلي (١٠٦) نقلًا عن الصولي والميلاوي (٤٣) وابن خلكان (١٢٤).

٣) الميلاوي (٤٣)

الفضل انك يا امير المؤمنين منذ ابدتهم اصبحت اعظم الخلفاء لا يتعرّض لك احد في ملكك تقول للسحابة: أمطري حيث شئتِ فان خراج الارض التي تمطرين فيها يجيء اليّ (١

الرشيد اني اتعب الخلفاء خاطرًا واعظم الناس همًّا وغمًّا (٢

الفضل لا موضع للغمّ وقد ساد السلم والامان في الدولة يوم ابطلتَ كيدهم ومكرهم

الرشيد ايُّ سلمٍ وايُّ أمنٍ وقد احاطت بنا الاعداء من كل وجه ونقض نففور العهود ثانيةً (٣ ظنًّا ان قد سقطت الدولة بسقوط البرامكة فتحرك الروم واحتشدوا واجمعوا على مبادأتنا بالغزو. اما البلاد فقد ثارت فيها الفتن والبدع وعظمت سلطة بني امية في الاندلس يهزأون بالرشيد ودولته وانت وزيري لم تستطع ان تكسر شوكتهم كما فعل جعفر. وهذا رافع بن الليث قد شقّ عصا الطاعة فتغلّب على سمرقند وقتل عاملنا وليس من يتجرأ على الخروج لمحاربته سواي (٤ اما ملك الفرنجة فلا ندري ما كانت نتيجة الوفود فان كان قد علم رسولنا عبد الله العلوي حقيد البرامكة بما حدث اثار في صدر زعيم النصارى نار الغيرة على الاخذ بالثار فوقعنا في شرّ بليّة من جميع الاطراف. من لي باحياء البرامكة فيردّوا المياه الى مجاريها

(سكوت)

هيهات ليس يُردُّ امسُ الى الغد — لا أمّن الله من اغراني على قتل البرامكة ما رأيتُ رخاء بعدهم ولا وجدت لذةً ولا سلامًا ولا راحة. لوددت لو شوطرتُ عمري وغُرّمت مالي وملكي وتركت البرامكة على حالهم (٥ . لكن قد قربت منيتي وحانت ساعتي فسيرى بعدي اولياء العهد ما يرون

١) مجاني (٣: ٩٨) نقلًا من كتاب الاعلام لقطب الدين النهروالي
٢) مجاني (٥: ٢١٧) نقلًا عن النهروالي
٣) الطبري (٦٦٦)
٤) الطبري (٧٠٧) والفخري (٣٦٦)
٥) الاربلي (١٠٧)

اسحق أعيذك بالله يا امير المؤمنين ان تقول هـذا. اني لارجو ان يبقيك الله لنا مدى الدهر

الرشيد تنحّوا عنا (يبقى الرشيد واسحق في مقدّمة المسرح) .

يا اسحق اني ميّتٌ عن قريب فقد اقترب صفر وهو الشهر الذي قتلتُ فيـهِ جعفرًا ويجيء فسأموت فيه

اسحق يا امير المؤمنين جَعَلَنا الله فداءك إني ارى دمًا ظاهرًا ووجهًا ناصعًا وشبابًا زائدًا ومنّةً قويّةً ورروحًا طيبة فعمّرك الله اكثر ممـا عمّر من ملوك الارض وفتح لك ما فتح على ذي القرنين ولا ارى رعيّتك فيك سوءا

الرشيد مل بنا قرب هذا الجدار حتى أسرّ اليك سرًّا كتمتهُ عن الجميع . امانةً في عنقك ألّا تخبر بما ألقي اليك احدًا

اسحق يا سيّدي هذه مخاطبة الاخ لاخيهِ وانا عبد يخاطبني مولاي مثل هذا ؟

الرشيد هنا على صدري وظهري قروح واريتها بخرق وادوية ومراهم

اسحق منذ كم هذا ؟

الرشيد ظهرت يوم قتلتُ جعفرًا وذويه

اسحق يا لله !

الرشيد ولم أطلع عليها الّا الفضل بن الربيع ومسرورًا ظنًّا بهما خيرًا فاما الفضل فقد اخبر الامين فوالله لئن بقيتُ لاتركنّهُ يهيم في طلب الخبز حتى يشغلـهُ ذلك عن اذاعة السرّ ومسرور قد اعلم المأمون بمأتي زلّتي . وما منهم احدٌ إلّا لهُ عينٌ عليّ . فاي حياة تصفو لي واعزُّ ولدي يحصي انفاسي ويستحثُّ علّتي . ولقد بلغ من تبرّمهم بي وبحياتي أني اذا أردتُ الركوب جاءوني يبرذون قطوف ليزيدوا في علّتي وجروحي فاكرهُ ان أظهرَ هذا لهم فيستوحشون مني ومتى استوحشوا أظهروا من العداوة ما كان باطنًا والعـامّةُ لهم ارجى والخاصّة اميَل وانا كالخائف بينهم أصبحُ فلا أطمع في المساء وأمسي فلا اطمع في الصباح (١

(١) الطبري (٧٢١) وابن الاثير (٦ : ٧٤) والاربلي (١٢٢)

اسحق سيداويك جبريل باذن الله

الرشيد هذا جزاء فتكي بالبرامكة فلا ينجع فيَّ دواء

ان الطبيب بطبّهِ ودوائهِ لا يستطيع دفاع محذور القضا

ما للطبيب يموت بالداء الذي قد كان يبري مثلهُ فيما مضى (١

اسحق من ارادك بكيد اراهُ اللهُ ذلك الكيد في نفسهِ

الرشيد سمع الله دعاءك. والآن استحلفتك بالله ان تصدقني

اسحق سيدي

الرشيد انظر الى يدي. أترى عليها اثر دم ؟

اسحق لا إنها بيضاء كالثلج

الرشيد لا ازال اغسلها واطيبها ومع ذلك اراها ملطخة بالدم. انظر. ها اثر الدم

اسحق خيالات واوهام

الرشيد لا لا. هذا دم يحيى. هذا دم جعفر. هذا دم العباسة. هذا دم الاطفال. هذا دم البرامكة (باضطراب) اين انا ؟ ما هذا التراب المنثور. هنا قتلتُ اختي. هنا قتلتُ الحسن والحسين. هنا قُيّد جعفر بقيد البهائم. هنا القي اليَّ برأسهِ يشخب دماً — (يزداد اضطرابهُ) — دعني يا جعفر ما هذا السيف الذي لا تزال تسلّهُ عليَّ الليل والنهار. دعني وحق حبّنا القديم. دعني وحق اخوّتنا. كفرتُ بك. قتلتُ اولادك. سفكت دماءكم ظلماً وجوراً. دعني دعني (يرمي بنفسهِ على كتف اسحق والجميع يحيطون بهِ)

الفضل قد ألمَّ بالرشيد جِنّة يجب اطلاع الامين عليها

مسرور هذا مَسٌّ

الفضل صدقتَ

اسحق صه يا مكّار

الرشيد لا تذرّ عليَّ التراب يا يحيى. أقِلني أقِلني (يخرج كالهارب من يسار المرسح ويتبعهُ الجميع بسكوت)

---

١) كان الرشيد يردّد هذه الابيات وهو على فراش الموت (المسعودي ٦:٣٥٧)

المشهد الثالث

عبدالله بن يحيى العلوي (يدخل من آخر المرسح بتحفظ)

عبد الله كأني سمعتُ صوتاً. لكن لا ارى احداً بين الحرائب
ما هذا الانقلاب. تركتُ منازل البرامكة يوم سرتُ رسولاً الى قاره ملك الفرنج جنّة الدنيا وزهرتها فالفيتها اطلالاً بالية وجدراناً شاخصة ينعق فيها البوم والخفافيش. تركتُ جعفراً يجرّ ثوب العزّ والفخار في المحافل مسوّدًا والى الخليفة موفدًا فاستقبلت شلوهُ على جسر بغداد جثّة شوّهها الموت تحوم عليها الغربان. هنا ودّعت ابي الجليل ولم ارَ منهُ الّا الجليل وقبّلتُ اخي جعفراً ولم ادرِ عندئذٍ أنا شقيقان من صُلب واحد فسرت يخفّ بي الامراء والقوّاد. اما الآن فعدت سرًّا والرشيد بثّ العيون على أثري واهدر دمي ولا اعلم هل ابي واخي في الحياة وبينما كنتُ اقطع القفار والبحار واكابد الاتعاب والاخطار توطيداً لملك الرشيد ورغبةً في عقد رباط المودّة بينهُ و بين زعيم الفرنجة كان الرشيد يسبي ويذبح ويقتل ويمثّل (يجلس)

يا أيها المغترُّ بالدهرِ والدهرُ ذو صُرُفٍ وذو غدرِ
لا تأمنِ الدهر وصولتهُ وكن من الدهر على حذرِ
ان كنت ذا جهلٍ بغرّتهِ فانظر الى المصلوب بالجسرِ
كان الوزيرُ القائم المرتضى رِدا النهى والفضل والذكرِ
وكانت الدنيا باقطارها اليهِ في البرّ وفي البحرِ
بينما كان جعفرٌ في ملكهِ عشيةَ الجمعة بالقصرِ

---

(١) اخذنا هذا المشهد عن رؤيا الرشيد وهو ذاهب الى طوس. اطلب الطبري (٣ : ٧٢٥) الخ وغيره وقابل مع المسعودي (٦ : ٣٢٠ و ٣٥٩). قال صاحب الاغاني (١٧ : ٤٦) : رأى الرشيد في نومهِ كأن امراة وقفت عليهِ واخذت كفّ تراب ثم قالت لهُ : هذه تربتك عن قريب. فامّح فزعاً وقصّ رؤياه. فقال لهُ اصحابهُ : وما هذا ؟ قد يرى الناس اكثر ممّا رايت واغلظ ثم لا يضرّ. فركب وقال : اني لارى الامر قد قرب. فبينما هو يسير اذ رأى امرأة واقفة من وراء شباك حديد تنظر اليهِ فقال. هذه والله المرأة التي رأيتها. ثم امرها ان تاخذ كف تراب فتدفعهُ اليهِ ففعلت. فبكى وقال : هذه والله التربة التي أريتُها.

اذ عثر الدهرُ بهِ عثرةً يا ويلنا من عثرة الدهرِ
وزلّت النعل بهِ زلّةً كانت لهُ قاصمة الظهرِ
فغودرَ البانسُ في ليلةٍ م السبت قتيلًا مطلع الفجرِ
وجيء بالشيخ واولادهِ يحيى معًا في الغلّ والاسرِ
والبرمكيين واتباعهم من كان في الآفاق والمصرِ
كانما كانوا على موعدٍ كموعد الناس الى الحشرِ
واصبحوا للناس احدوثة سبحان ذي السلطان والامرِ (١ (يقوم)
كم من مرّة — وقد أنبأني جبريل في غربتي بما حدث — كم من مرّة هاجت في ثورة الغضب فرأيتُ عدلًا أنْ أحمل الشرّ بحملهِ وأجزيَهُ بمثلهِ فأطلع سلطان الفرنجة على حقيقة الحال وأسأله ان يغضب لمن هريق دمهم البري جورًا ويأخذ بناصر المظلومين. لكن النخوة العربيّة وما تعلّمتهُ في منازل البرامكة من شرف النفس وحفظ المواثيق وقهر الاهواء في سبيل الوطن ردعني عن هذا القصد

يكاد القلب من جزعٍ يطيرُ اذا ما قيل قد قُتل الوزيرُ
امير المؤمنين قتلتَ شخصًا عليهِ رحاكمُ كانت تدورُ
فمهلًا يا بني العبّاس مهلًا لقد كُويتْ بقدركمُ الصدورُ (٢

ولم يبقَ لي الآن الّا النوح والبكاء على من تجرّعوا كأس المنون على حين لم استطع أن اضمد كلومهم الدامية واقبّل عيونهم الناثرة. فاستطلع الاخبار عن ابي واخي ثم اسير الى الرشيد فاعلمهُ بنجاح الرسالة واسلّمهُ التحف والهدايا وأسأله جزاء اتعابي ان يعجل بقتلي فالحق بمن أكرمهم وأحبهم

الآن استرحنا واستراحت ركابُنا واسلك من يُجدي ومن كان يجتدي
وقل للمطايا قد امنتِ من السرى وطيّ الفيافي قد فقدنا بعد فقدِ
وقل للمنايا قد ظفرتِ بجعفرٍ ولن تظفري من بعده بمسوّدِ

١) المسعودي (٦ : ٤٠٠) القصيدة لعلي بن عباد

٢) هذه الابيات قالها احد الشعراء يوم قتل المتوكل وزيرهُ محمّد بن عبد الملك الزيات. اطلب الفخري (٢٠٣)

وقل للعطايا بعد فضلٍ تطلّني وقل للرزايا كل يوم تجدّدي
ودونك سيفاً يرمكيًّا مهنّداً أصيب بسيفٍ هاشميّ مهنّدِ (١
(يقول عبد الله هذه الابيات بحزن سائرًا بقتسابع الى الوراء ويغيب عن الابصار)

المشهد الرابع

العلوي . الحسن (يدخلان من مقدّمة المسرح يمينًا . والعلوي مستند على ذراع الحسن)

الحسن تقدّم يا ابتِ . لا ارى احدًا (يضع بساطاً وكرسيًّا من حديد يجلس عليه العلوي)

العلوي ولما رأيت السيف جندل جعفرًا ونادى منادٍ للخليفة في يحيى
بكيتُ على الدنيا وايقنت انّما قصارى الفتى يوماً مفارقة الدنيا
لأبكيكم ابكي ألفضل ذي الندى ام الشيخ يحيى او لمحبوبنا موسى
ام الملك المصلوب من بعد عزّة أمِ ابكي بكاء المولات على الثكلى
لكلّكمُ ابكي بعينٍ غزيرة وقلبٍ قريحٍ لا يموت ولا يحيى
لئن زال غصن الملك عن آل برمكٍ فما زال حتى اثمر الغصنُ واستعلى
بني برمك كنتم نجوماً مضيئة بها يهتدي في ظلمة الليل من اسرى (٢

الحسن أبتِ لئن اصبحتَ للناس آية لقد بلغت الغاية ولئن زال ملكك وخانك دهرك فلقد كنت في المحافل شريفاً وعلى الارامل والايتام عطوفاً وباهل الضيم والفاقة لطيفاً فعشت حميدًا مودودًا ومت مظلوماً مفقودًا

أصيبتُ بسادة كانوا عيوناً بهم نسقى اذا انقطع الغمامُ
فقلتُ وفي الفؤادِ ضريمُ نارٍ وللعبرات من عيني انسجامُ
على المعروف والدنيا جميعاً ودولة آل برمكٍ السلامُ
فلم أرَ قبل قتلك يا ابن يحيى حساماً فلّهُ السيفُ الحسامُ

١) الشعر للرقاشي وقيل لابي نواس وقيل لاشجع (المسعودي ٦ : ٤٠٣) وابن الاثير (٦ : ٦٤) والطبري (٦٨٥) ابو الفداء (٢ : ١٨)

٢) المحاسن والمساوئ للبيهقي (١٢٢) وابن عبد ربّه (٣ : ٢٢) والاربلي (١١٠) ابن خلكان (١٣٧) والتنوخي في كتاب الفرج بعد الشدّة (٢ : ٢١) والميلاوي (٣٥)

أألهو بعدكم واقرُّ عيناً علىَّ اللهوُ بعدكمُ حرامُ
وكيف يطيبُ لي عيشٌ وانتم رفات داسهُ القوم اللئامُ
وجعفرُ ثاوياً بالجسر أبات محاسنهُ السمائمُ والقتامُ
امَّا والله لولا خوفُ واشٍ وعينٌ للخليفة لا تنامُ
لطفنا حول جذعك واستلمنا كما للناس بالحجر استلامُ (١

العلوي كفَّ عن البكاء بنيَّ

الحسن دعني أنُح على اهلي رذويَّ (غناء ونوح) (٢

العلوي لم يبق لي الان الَّا ان انظر الى عبدالله اخ نظرة وأضمَّهُ الى صدري فقد أنبئتُ بقرب عودته ثم اذهب الى الرشيد طالباً اليه ان يذبحني فيجمعني بابني جعفر وبالبرامكة خلاني واسيادي

الحسن وانا ارافقك فقد سئمتُ الحياة بعد فقد اهلي

المشهد الخامس

العلوي . الحسن . عبدالله (وقد عاد عند سماع النوح)

عبدالله ابتِ انت هنا ؟

العلويّ من الرجل ؟

عبدالله عبد الله ابراهيم ابنك (يتعانقان)

العلويّ دعني اموتُ الآن فقد رأيتُ وجهك

عبدالله واين جعفر ؟

العلوي هنا تحت هذا التراب المنثور

الحسن ونفسهُ في ظلال الجنَّة (سكوت)

عبدالله قتلهُ الرشيد !

---

١) ترجمة الجليس (٢ : ٢٢٤) والطبري (٦٨٧) ابن عبد ربه (٣ : ٢٢) وابن خلكان (١٢٦) والقصيدة لسليمان بن برمك وقيل للرقاشي وقيل لاشجع وعزاها ابن الرشيق في كتاب العمدة (ص ٢٣) لابي قابوس الشاعر النصراني يشفع بمن بقي من البرامكة عند الرشيد . وزاد قائلًا : فانظر الى تجاسره على مثل هذا الامير العظيم من الشفاعة والرثاء

٢) خذ ما شئت من مراثي الخنساء وغيرها من الالحان المحزنة

الحسن مات عوضاً مني ليخلصني . واسفاه !

عبدالله فله درُّك يا اخي من كوكب باهر ونجم زاهر أفلَ قبل اوانهِ وغار في التراب وكانت القلوب افلاك بيانهِ . تموت ولم تتجاوز الثامنة من عمرك . فصن لمارد قصنتهُ الرياح وزهرة رائعة نثرتها يد الظالمين (غناء محزن)

الحسن كفَّا من النوح فأنا انا جديرٌ بالبكاء والنحيب فقد داهمتني الاحزان من كل جانب ورمتني سهام المنيَّة فصدعت مني الفؤاد وكسرت الاعضاء وفتتت الاكباد . هنا اخوتي وامي واهلي اضحت عظامهم تحت اطباق الثرى رفاتاً . وهناك جثَّة ابي تتناشها العقبان وتحدق بها النسور . هنا ألقي برأس ابي في ترس وبدنهُ في نطع والرشيد ينظر اليهِ وهناك مات البرامكة كسرت عظامهم الاعمدة وحطمت جباههم الحجارة

أأبكي على اهلي من لا يزال ذكرهم يهيج احزاني ويُثير اشجاني . او اندب ابنك قرة عينك وعيني ومهجة فؤادك وفؤادي جعيفرًا الذي مات عوضاً عني ليتجيني من الموت

وان تكُ في قبر فانك في الحشى وان تكُ طفلاً فالاسى ليس بالطفلِ
ومثلك لا يُبكى على قدر سنهِ ولكن على قدر الفراسة والاصلِ

لقد خدعتني يا فلذة الاكباد خدعتني يا جعيفر أخيَّ الحبيب خدعتني بلطفك وكرم سجاياك فخلصتُ لكني كنت سبب موتك وشعلةً ارقدت الاحزان في قلب ذويك . مَن لي بالموت فأعوض عمَّا فرط . اتغفر لي يا جدّ وانت يا اخي عبدالله

العلوي بُنيَّ كف عن البكاء وليكن الرجاء عزاءك

عبدالله فسوف يُلبس الله عظام من فقدناهم مجدًا فيقومون يوم العرض مكللين بتيجان السعادة

العلوي مات جعيفر شهيد حبهِ وقياماً بحقوق المعروف فنجَّى فرعاً كريماً من البرامكة فانَّ شهامتهُ عزاني اذ كنتُ انا مجلبة حقد الرشيد على اهلك ووسيطة اتخذها الوشاة فأوقعوا بقوم كرام ذوي دين صادق وشيم عالية . فانت يا ابن البرمكي انت احرى بالثناء وانا احق بطلب العفو

الحسن غفر الله لنا جميعاً

عبد الله كأني لسمع صوتاً

العلوي لم نزَ قط في هذه الخرابات سوى جبريل يأتينا بما نقتات به ولولاهُ لمتنا جوعاً

الحسن هو جبريل

عبد الله ومن ذا الذي معهُ ؟

المشهد السادس

العلوي - عبد الله - الحسن - المامون - جبريل

(في اثناء المشهد الخامس والسادس يمرّ الرشيد واصحابهُ في اقاصي المرسح شيئون تارةً وتارةً يظهرون)

المامون اخي الحسن ألا تعرفني ؟

عبدالله ابن الرشيد هنا !

العلوي (لجبريل) هكذا أطلعتَ القوم على سرّنا

جبريل لا خوف عليكم

المامون اخي الحسن ألا تعرفني ؟ أنسيت ما تعاهدنا عليهِ من الاخاء مدى العمر ؟

الحسن عرفتُ عبدالله المامون مَن كنتُ أحبُّهُ كأخ . لكني ابغض ابن الرشيد

المامون سألتك بالله ان تقيلني

الحسن اليك عني فانَّ في القارب حزازات وسخائم لا تبلى

المامون دعني اصافحك

الحسن لا تمتني يد ابن الرشيد

المامون ما ذنبي انا وقد متُّ كمدًا !

جبريل اصفحوا فالله يحب الرحمة

المامون كفى ابي وكفاني ما لقينا من العذاب

الحسن ابن قاتل ابي وامي واخوتي ! كلّا كلّا

المامون سألتكم بالله . . .

المشهد السابع

يدخل بتتة مسرور وياسر

مسرور اجيبوا امير المؤمنين

جبريل مسرور هنا ! يا فتة ما العمل ؟

المامون قف يا عبد السوء

مسرور المامون مع اعداء الرشيد اعني يا ياسر

ياسر اعينك على موالي !

عبدالله (لمسرور) لا تمدّ الى احد يداً دنسة

مسرور يا ياسر

عبدالله (يستلّ سيفهُ ويتبع مسروراً خارج المسرح) خذها ضربة قاتلة (ثم يعود)

ياسر والآن هاءنذا ايضاً يا ياسر العبد الخائن فاقتلني يا عبدالله

(يهجم عبدالله على ياسر)

جبريل قف سألتك بالله (ضجّة)

المشهد الثامن

يدخل الرشيد واصحابهُ

الرشيد اغمد سيفك يا عبدالله

العاري الرشيد هنا ؟

الحسن قُضي الامر

المامون يا ابتاه

الرشيد وانت بُنيَّ هنا !. لا باس. قد سمعتُ كلّما قلتموهُ ووعيتهُ

المامون سألتك بالله ألّا تقتلهم

العاري دع عنك ذلك يا ابن الرشيد. وانت يا هرون هاك طلبتك قد بلغتَ المنى .
جرّد ذا الفقار سيف جدّي واغمدهُ في صدر ابن علي ها صدري فاطعني

الحسن ان يدي بيد يحيى بن عبدالله . هـاك يا هرون ابن جعفر البرمكي وابن

العباسة . قتلتَ اباهُ وامَّهُ واخوتهُ وذويهِ جميعاً فلا يحسن بهِ ان يعيش بعدهم . جرّد سيفك وأمِت اطهاراً وألحقهم بمن اهرقت دمهم ظلماً وجوراً

عبدالله وانا ايها الرشيد كنتُ سائراً اليك فاتيتَ اليَّ . قد قمتُ باعباء الرسالة وعدت اليك بما يوطد اركان ملكك فتركتُ تحف سلطان الفرنجة ورسائلهُ مع الاحمال على باب المدينة واني قد انجزت ما امرتني بهِ ورتقت الفتوق التي لا يزال يحدثها الفضل بن الربيع هذا الخائن في دولتك واذا اطلعت على الرسائل حصحص لك الحقّ وانكشفت الرغوة عن الصريح فعرفت من الامين ومن المكّار

الفضل لا تصدّق هذا المقال

الرشيد (للفضل) صهْ لا امَّ لك

عبدالله فاتيتُ سراً انوح على اسيادي والثم آثار اقدامهم واقبّل ثرى اجداثهم والان اسألك جزاء اتعابي ما اعددتهُ لكفاءتك واصطفائك فليس حظي باحسن من حظّهم . انتضِ حساماً ضرّجتهُ بدماء آل علي بن ابي طالب وآل برمك هاك دماً زكيًّا فاسفكهُ . انت اهل لذلك

ياسر اقتاني . انا سبب كل ما جرى . جنيتُ على البرامكة كذباً باغراء الفضل هذا اللعين . امتني فاني ظالم ولينجُ البري

المأمون سألتك بالله ان تصفحَ ابتِ والّا فاقتلني معهم فاني والوفا من رعاياك نواصل البكاء ليلاً ونهاراً على فقد البرامكة

الرشيد كفى . كفى . قد طال اضماري الاسف واظهاري القسارة باغراء من اغراني فعلى البرامكة ابكي وانوح (يبكي) (١)

ايا سبتُ يا شرَّ السبوت صبيحةً ويا صفرُ المشؤومُ ما جئتَ أشأما
أتى السبت بالامر الذي هدَّ ركننا وفي صفر جاء البلاء مصمما (٢)

فقد والله لم التقِ رخاء بعدهم . أضنكتني الامراض . واحاطت بي الاعداء

١) الاغاني (١٧ : ٧٤)
٢) الطبري (٦٨٥) والمبلاوي (٩٥)

وجانبني الاصدقاء . وانذرتني الخوارق والآيات . اذا اضجعتُ على فراشي كأني على وقودٍ ملتهبة ينخزني الضمير بمهازه . واذا سرت تراءت لي اشباح مُدلة عليَّ . لم ينجني منها مواصلةُ الصلاة واستماح الغفران والحج ماشياً (١ . لوددتُ لو شوطرت عمري ولم آتِ بما اتيت (سكوت)

فعليكم يا آل برمك ابكي ولذكراكم احفظ وعلى اياديكم البيضاء أثني وعمَّا جنيت من الاثم الفظيع اعضّ البنان ندماً واسفاً . فلو كان يفديكم سفك دمي وبذل روحي لما بخلت بها عليكم يا من كنتم غرّة عصري وتاجاً على مفرق دهري (٢ ومعتصماً الجأ اليه في علني وسري واسوةً اقتفي معالمهم في سيري واخوان صفا الرد بهم في عسري ويسري . فليس لي الان الّا ان اعان باسفي وندمي على مسمع من الكبير والصغير (٣ أتعفو عني يا فرعاً كريماً نجاه الله من ظلمي فاصبح الوريث الوحيد لمآثرهم . انا هرون الرشيد اسألك بحق حبك لابيك وحزنك عليه ان تصفح عن ذنبي . ألا تجيب شيئاً ؟

المامون فليكن لنا عقوك عزاء ورجاء يوم الدين

الحسن قاتل ابي واهلي !

جبريل اذكر شيمَ ابيك وما رضعتهُ في حجره من المبادئ الدينيَّة والتقى واصفح نُبيَّ

الرشيد اقلني باسم ابيك واهلك والّا متُّ كمدًا

الحسن غفر الله لك اثمك

الرشيد شكرًا لك ربّي

المامون عاهدني على الاخاء كما سبق

الرشيد عش في قصري مع المأمون وكن لهُ اخًا

الحسن لا افترق عمَّن هما لي اب بعد ابي واخ بعد اخي

---

١) الفخري (٣٦٤)

٢) الفخري (٣٦٦)

٣) لم تتفق اقوال المؤرخين في هذا الامر فذهب قومٌ انهُ اسف واضمر الاسف وقومٌ انهُ اعلنهُ سرارًا

الرشيد لستُ اهلًا ان يزين ابن جعفر مقلتي — (للفضل) هات يا خائن خاتم الوزارة واذهب الى لعنة الله وحرّ سقر. اولى لك. فلا تجاورني ولن رأيتك قتلتك. ولولا ان سفك دمك هو عار عليّ يوم فزتُ بالعفو من البرمكي لهدرتهُ

الفضل وجزاء سيئة سيئة مثلها (يخرج)

الملوي بئس مَن باع دينهُ بدنياه فلم تربح تجارتُهُ

الرشيد (لياسر) انت اردتَ الدفاع الان عن هؤلاء. كن حرًّا لوجه الله

ياسر سأسير الى بلادي واعيش في النسك والعبادة تعويضًا عمَّا فرط مني

الرشيد (لياسر) حسن. (لعبدالله) كن يا عبد الله وزيري وقم باعباء الدولة كما قام بها يحيى وجعفر

عبد الله ان نفسي لا تطاوعني على هذا

الرشيد عيشوا يا كرام في قصري فقد ملكتكم كل ما كان عليه البرامكة وولّيتكم على الوزارة والحجابة والامارة

الملوي سألت امير المؤمنين ان يعفينا ويمكّننا من الذهاب الى البلاد البعيدة نعيش فيها في الخلوة والعبادة ونموت كراماً

عبد الله وان اجاز لنا اتينا كل عام الى هذه الخرائب نحج الى كعبة الشرف والدين والوفاء فنذكر البرامكة ونندب الدنيا على فقدهم

الحسن سلام على الدنيا اذا ما فقدتمُ بني برمك من راحتين وغادِ

الرشيد يا آل برمك انكم تحت الثرى اعلى واشرف من ملوك عاليهْ
فانا مليك الارض احسدكم واحسد قبركم يا ليت ضمّ عظاميهْ
الله اكبرُ ايها العظماء والحكام م فاعتبروا بهذه الداهيهْ
فاذا حكمتم فاحكموا بالعدل لا تبغوا فعقبى البغي نار حاميهْ
وبصالح الاعمال لا بالظلم تدّ م خرون في الدارين نعمى ساميهْ (١

(تنتهي)

١) او فليقل الرشيد هذه الابيات :

يا آل برمكَ ما اسمى مناقبكم فالحدُ كمْ كعبةٌ حجّت لها الامَمُ
يا جعفرَ الجود يا فضل المحاسن يا يحيى الزمانِ دهاكم كيد من ظلموا
هدمتُ مزّي بكفي اذ سمعتُ الى قولِ الوشاةِ قاصمى قلبي الندم